

التحرير والتنوير

والمقام مصدر ميمي مرادف للقيام . وقد استعمل هنا في معنى شأن المرء وحاله كما في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما) أي خير حالة وشأنا . وهو استعمال من قبيل الكناية لأن مكان المرء ومقامه من لوازم ذاته وفيهما مظاهر أحواله .

قومه مع شؤونه أهم من ذلك لأن الـ بآيات إياهم تذكيره فيهم أحواله من بالذكر وخص A E فعطفه من عطف الخاص على العام . فمعنى (كبر عليكم مقامي وتذكيري) سئمت أحوالي معكم وخاصة بتذكيري بآيات الـ .

وتجهم الحق على أمثالهم شنشنة المتوغلين في الفساد المأسورين للهوى إذ تقع لديهم الدعوة إلى الإقلاع عنه والتثويب بهم إلى الرشاد موقعا مر المذاق من نفوسهم شديد الإيلام لقلوبهم لما في منازعة الحق نفوسهم من صولة عليها لا يستطيعون الاستخفاف بها ولا يطاوعهم هواهم على الإذعان إليها فيتورطون في حيرة ومنازعة نفسانية تثقل عليهم وتشمئز منها نفوسهم وتكدر عليهم صفو انسياقهم مع هواهم .

وإضافة التذكير إلى ضميره من إضافة المصدر إلى فاعله . والباء في (بآيات الـ) لتأكيد تعدية المصدر إلى مفعوله الثاني والمفعول الأول محذوف والتقدير : تذكيري إياكم .

و (آيات الـ) مفعول ثانٍ للتذكير . يقال : ذكرته أمرا نسيته فتعديته بالباء لتأكيد التعدية كقوله تعالى (وذكرهم بأيام الـ) وقول مسور بن زيادة الحارثي : . أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أي جاهد غير مؤتلي ولذلك قالوا في قوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم) أن الباء لتأكيد اللصوق أي لصوق الفعل بمفعوله . وآيات الـ : دلائل فضله عليهم ودلائل وحدانيته لأنهم لما أشركوا بالـ فقد نسوا تلك الدلائل فكان يذكرهم بها وذلك يبرمهم ويخرجهم .

وجملة (فعلى الـ توكلت) جواب شرط (إن كان كبر عليكم مقامي) باعتبار أن ذلك الشرط تضمن أن إنكاره عليهم قد بلغ من نفوسهم ما لا طاقة لهم بحمله وأنهم متهيئون لمدافعته فأنبأهم أن احتمال صدور الدفاع منهم وهم في كثرة ومنعة وهو في قلة وضعف لا يصدده عن استمرار الدعوة وأنه وإن كان بينهم وحيدا فذلك يوهنه لأنه متوكل على الـ .

ولأجل هذا قدم المجرور على عامله في قوله (فعلى الـ توكلت) أي لا على غيره . والتوكل : التعويل على من يدبره أمره . وقد مر عند قوله (فإذا عزم فتوكل على الـ)

في سورة آل عمران .

والفاء في (فأجمعوا أمركم) للتفريع على جملة (على اٍ توكلت) فللجملة المفرعة حكم جواب الشرط لأنها مفرعة على جملة الجواب ألا ترى أنه لولا قصده المبادرة بإعلامهم أنه غير مكترث بمناواتهم لكان مقتضى ظاهر الكلام أن يقول : إن كان كبر عليكم مقامي الخ فأجمعوا أمركم فإنني على اٍ توكلت كما قال هود لقومه (فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إنني توكلت على اٍ ربي وربكم) .

وإجماع الأمر : العزم على الفعل بعد التردد بين فعله وفعل ضده . وهو مأخوذ من الجمع الذي هو ضد التفريق لأن المتردد في ماذا يعمله تكون عنده أشياء متفرقة فهو يتدبر ويتأمل فإذا استقر رأيه على شيء منها فقد جمع ما كان متفرقا . فالهمزة فيه للجعل أي جعل أمره جمعا بعد أن كان متفرقا .

ويقولون : جاؤوا وأمرهم جميع أي مجموع غير متفرق بوجه الاختلاف .

والأمر : هو شأنهم من قصد دفعه وأذاه وترددهم في وجه ذلك ووسائله .

و (شركاءكم) منصوب في قراءة الجمهور على أنه مفعول معه . والواو بمعنى (مع) أي أجمعوا أمركم ومعكم شركاءكم الذين تستنصرون بهم .

وقرأ يعقوب (وشركاءكم) مرفوعا عطفا على ضمير (فأجمعوا) وسوغه الفصل بين الضمير وما عطف عليه بالمفعول . والمعنى : وليجمع شركاءكم أمرهم .

وصيغة الأمر في قوله (فأجمعوا) مستعملة في التسوية أي أن عزمهم لا يضره بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التامة لمقاومته . وزاد ذكر شركائهم للدلالة على أنه لا يخشاها لأنها في اعتقادهم أشد بطشا من القوم وذلك تهكم بهم كما في قوله تعالى (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون)